كتاب

الى عميد الادب العربي الاستاذ الكبير

الدكتور طه حسين

في الميثاق . .

يا صاحب الايام

اتفق الناس . على الا يشرحوا حالتهم الا لمن بادلوهم الود وسبقت بينهم المعرفة ووحدت بين احوالهم انواع خاصة من الحياة ، ولكني اظن « الادب » قد شذ عن هذه القاعدة ، فأنت ترى اديبا يتخيل انه قضى ليلة مع « المتنبي » او ناجى في الخيال « جوتيه » او تحدث في المنام الى (هوجو) وقد ترى كاتبا يكتب عن (طاغور) وكأنه صديقه مع انه لم يحظ برؤيته وآخر يترجم (شلار) وغيره يهيم في الوهم مع (ملتون) يدفعهم الى ذلك حبهم العظيم لمن يتحدثون عنهم واعجابهم وتعلقهم القوي بادبهم ولما كنا على الاخص نعيش في عصر يقدس الديمقراطية وينادي بها فهل تأذن لي ان أؤول تلك الديمقراطية حسب رغبتي فأرى فيها ان اخاطبك واشرح آلامي وغم الفرق بيني وبينك

انني في الادب لا شيء أو قد اكون شيئا فاذا حكمته فهو لا يزيد عن فتي يحب ان (يؤذن) لانه رأي أو تخيل ان في الاذان لذة وفي صعود المأذنة متعة ولكنه لم يكد يخطو الخطوة الاولي ويصعد أول درجة حتى راعته ظلمة الطريق ووعورته فهو لا يريد ان ينكص على عقبيه ويحاول الرجوع ولا يستطيع ان يصعد . فهل ترى لهذا الفتى أن يطلب من المتربع على حافة المئذنه ان ينيرله الطريق أو يبادله الحديث عن بعد حتى يبعد عن نفسه خوف الظلام

هذه هي حالتي وانا لم اتخط بعد الدرجة الاولى ولكني اطمع في ان اسمع حديث الذي صعد فأذا لم اسمعه فلا اقل من ان اناديه واتخيل انه يجيب حتى اسري عن نفسي الم الخوف من وحشة المكان

ياصاحب الايام

اراك في الايام الاخيرة تنعى الثقافة ولا ترتاح لاهلها ولا يكاد يسلم من نقدك احدا فأنت تنقد رسلها وتنقد الذين يتلقون رسالتهم وتلوم وتسرف في اللوم حتى تقول للاديبه (مي) (صدقيني يا آنسه ليست ثقافتنا مرضية ولا قريبة من المرضية) وحبا في ان ابعث بالاطمئنان الى قلبك ساعرض عليك حالتي وقد تجد من امثالها الكثير وستحمد الثقافه وستحمد رسل الثقافه ،

. . . .

انني ياستاذي الجليل شاب لم اتعلم في المدارس بل لم اتشرف

بدخولها . تعلمت الكتابة والقراءة وانا فى السوق اكابد العيش ، استطعت ان اقرأ واكتب ، وكانت مهنتى تحتم على ان اظل جالسا اربع عشرة ساعة ، كيف يمضى هذا الوقت ؟ اخذت أقرأ وابتدأت بالادب القديم كـكل قارىء يقرأ للتسلية فالتهمت كتب الف ليله وعنتره والزير سالم . هذا فى ساعات النهار وفى الليل الصحف والمجلات وفجأه وجدت نفسى اقرأ القصص المجيدة لكبار كتاب الغرب بدل ادبنا القديم فى النهار وفى الليل اقرأ ما يترجم عن الفلسفة وفروعها مع كتب افذاذنا امثال شوقى وحافظ وطه والعقاد وهيكل والحكيم والمازنى وغيرهم

كان نهارى جولات فى الخيال فحينـــا ترانى فى اليونان القديمه اعيش فى معاهدها مع سقراط وافلاطون وارسطو وحينا اهبط انجلترا فاقابل بين هذه الفلسفة وفلسفة سبنسر وقد يتطرق الملل الى نفسى من الفلسفة فأرتاض فى حدائق شكسبير وملتون وما كولى واحيانا يلذ لى ان اطوف فى المانيا فاقرأ جوتيه وشللر ثم اتوجه الى باريس فأعيش مع لامارتين وهوجو وروسو وفولتير وموليير واحيانا تطالبنى نفسى ان اعيش زمنا فى بلاد الروس لتحادث تشيكوف وتولستوى وجوجول وقد يدفعنى التعصب الى المقابله بين هؤلاء والمتنبى والمعري والبحترى والفرابى وابن رشد والكاتب فأعيش كثيرا فى الوهاد والصحراء واشاهد عصور الاسلام الزاهرة وتطالبنى القومية ان اناصر

كتابنا وهكذا لا ادع هذا الكتاب وعصره الا لأعيش في الكتاب الثاني وقومه

واخيرا وجدت نفسي التي كانت تقرأ للتسلية والعبث اصبحت تقرأ للدراسة والبحث فاذا بي لا اقرأ مقالا أو بحثا او كتابا حتى اجد رغبة قوية في الرد على المقال والمشاركة في البحث والنقد للكتاب فاكتب وابعث الى الصحف. ولكن آه كم قاسيت ياسيدي الا اكتملك فأنا اكتب باغلاط نحوية كثيرة لاني لم ادرس قواعد اللغة، اجد ان الفكرة قوية ولكن اغلاطها النحوية تجعلها طعما لجرذان سلة المهملات

وعلى رغم اني اقرأ ولا اهدأ حتى اكتب فأنا اشتغل بمهنة كان يجب ان تكون كفيلة بان تقضي على رغبتي في القراءة ولكن ذلك كان عبثا ومحالا انني اشتغل بادكتور « قهوجي » والقهوجي كما تعلم دائما في ثوره. راديو فوق رأسه، عشرات من الناس يطلبون الخدمة وعمالا وزملاء من اسفل الاخلاق ومع ذلك فالثورة هي الثورة

. . . .

فاذا كانت هذه حالة شاب يعتبر نفسه اقل الشباب علما حيث لم ينتظم في دراسة ولم يجلس الى استاذ ومهنته والوسط الذي يعيش فيه يقضيان على كل شيء يتعلق بالادب فما بالك بمن يتعلمون في المدارس

ولهم الوقت والمادة ؟ اليس من حقي ان اطالبك ان تفخر بالشباب وتثني عليهم، اذا كنت انا اجهلهم وهذه هي قراءتي وهذه هي ثروتي الا يرجى الخير منهم ، انني لا اقول هـــذا للدعاية عن شخصي يمينا ـ لا ـ ولـكن لأطمئنك على حالتنا الثقافية والآن لنتحدث في الموضوع الذي اود عرضه عليك

. . . .

سيدي : اراك تتخذ لنفسك في النقد خطة هدامه لا سبيل للبناء معها فأنت تعمل معولك في كل ما يصادفك دون رحمة. قد تقول ان النقد خير مقوم للكاتب وانا معك في ذلك ولـكن هاأنت ترى الدكتور (ناجي) يصرح انه دخل ضيفا على الادباء فلم يحسنوا وفادته ولذلك فهو لا يفكر ان يكون ضيفا مرة ثانيه وترى الاستاذ ابراهيم المصري قد حرم القراء من مقالاته القيمه واختفى على اثر نقدك لقصته (نحو النور) الا ترى معي انك كنت قاسيا حينما شاهدت اثر النقد ولم تلق بالمعول وعملك بادوات البناء ؟؟ ثم الا تري ان النقد اذا افاد في الغرب فهو مضر في الشرق ؟ الا يكون في تصريح ناجي واختفاء المصري عاملا قويا لتخفيف حملة النقد ؟ لكـنا لم نري منك ذلك فها هو معولك لا تزال به اثار الانقاض ولا يزال يوجه ضرباته لمجلة الرسالة التي تخدم الثقافة باخلاص ولولا لطف الله لودعت الرسالة قراءها ، اتسلم معي بان النقد خير مرشد ولكنه عديم النفع بل هو الضرر

والخطر ؟!

. . . .

واحب ان ازيد فى اطمئنانك على شجاعتنا الثقافية ولذلك اقف هنا موقف الناقد سانقدك لتعلم ان شباب الجيل يرجى منهم الخير وان اجهلهم يرى لنفسه ان ينتقد عميد الادب العربى

اعرض عليك ياسيدى شيئا صنعته وانت فى سن الشباب لترى ان الشباب الآن اقوى من شباب الجيل الماضى وارجو ان تمعن النظر فيه وتنقده معى ورجائى ألا تغضب فأنا الآن اتكلم مع طه حسين الاديب الناشىء وانقد قصيدة له نظمها فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٠٩ كما احب ان تسلم معى ان النقد العنيف لا يفيد ادباء الشرق والا فأرنى الناقد القاسى يوم قلت انت (القصيدة) ولتقارن ياسيدى بين ما سأعرضه عليك وبين ما ينظمه شبابنا الشعراء اليوم

تقول فى مطلع هذه القصيدة

عم مساء فقد اتاك البشير

لا يروعنك الظلام المثير

. . . .

توسج الليل فى النهار ويأتى

من ذكاء الى الظلام نذير

ما هذا ؟؟ الا ترى ان للازهرية تأثيرها وانك لم تستطيع التعبير

شعرا عما تريد ؟ ثم تقول

عالم الغيب والشهاده لا يعـز

ب عنه قبل الصغير كبير

انني لا أتكلم ولكن اسألك كيف يكون حال الشاعر الناشيء الآن معك اذا قال

اهملوا الناس بحكم الله فيهم

فهو الغالب القوى القدير

اهل هـذه النظرية تصلح لنظام البشرية اهل ترضى أنت الآن عنها

ثم مالك وأنت منغمس فى الازهرية والالفاظ الدينية تشيد بالغربيين فتقول

حسبكم في الآداب ماقاله فول

تير أو ما اتى به فكتور

الا ترى معى انه كان يجب ان تقول حسبكم فى الآداب ما قاله المتنبى أو حسان حتي يكمل التجانس و يتفق التناسق

نعم ما قال ذا وما قال هذا

ونعما قال العليم الخبير

الا تسلم معى انك من اجل اتزان الشعر وبحكم القافية قد وضعت فكتور وفولتير فى مرتبة العليم الخبير وهذا هو العجز الواضح

وأنت تقول هذا على لسان النيل ألا ترى النيل أهلا للاحتقار ؟ لم لا يوصى بالادباء الذين شربوا منه وغنوا له وعاشوا بجواره

ثم تقول

منظر ثم مسمع تركانى فى ذهول كأننى مخمور

احببت أن تصف لحظة سعادة ومتعه فلم تستطع التعبير الا بالفاظ بعيدة عن الشعر وعن النثر ولا ينطق بها الا من كان جاهلا كل الجهل بالاسلوب العربى الرصين

. . . .

اننى لا أود الكلام فى هذا الشأن بعد هذا وأشعر أن القلم لا يطاوعنى فى سرد هذه « الدرر » فلأدعك تتذكرها وتقرأها وكم كنت أحب ان أضع بجوار كل بيت مايماثله و يتفق معه فى المعنى من شعر الشبان الآن ولكن لن أجد القدرة على ذلك لمكانتك عندى ولكنى اصارحك اننى لو كنت وجدت ايام نشأتك الادبية لكان لنا شأن آخر واننى أحمد الله لاننى لم أعاصر الا الدكتور طه حسين زعيم الادباء

. . . .

وأنت تقول ياسيدى الاستاذ ان معظم الموظفين والمدرسين لا يقرأون ولكنى اقول لك انهم يقرأون ودليلى نفسى فأنا أقرأ كل يوم خمس صحف ومجلتين هذا فى القهوة فى الثورة اما فى المنزل فمن

اللازم أن أمضي جزأ من الليل معك فى كتبك او مع العقاد أو اي غربى فذ اوشاعر عربى مفلق وأحب أن أعرض عليك صورة كونتها نفسى لمن أقرأ لهم من كتاب مصر لتعلم صدقى ، أنا اعجب بك فى الوصف والنقد و بالعقاد فى الشعر والتوسع فى البحث والزيات اشعر أنه يعمل لاساوبه (تواليت) قبل عرضه على القراء والرافعى يتصيد الكلمات من المعاجم « بعاشه » وهيكل كأنه مدعى عمومى يتصيد الادلة لثبوت التهمة والمازنى كنت لا أعجب بشعره وحده والآن تروق لى قصصه وصوره اما فكرى اباظه وحسين شفيق والصاوى فهم لمائدتى الأدبية بمثابة التوابل

. . . .

وقد جلت جولات فى كتب السيرة

والفضل فى ذلك لكتابك « على هامش السيره » فهو الذي حبب الى أن أدرس السيره وقرأت الالياذة والقصص التمثيلى واشعار اليونان دفعنى الى ذلك ماقرأته لك فى « الشعر التمثيلى عند اليونان » « وقادة الفكر » ولا أكون براحة الا اذا صاحبت العقاد وهيكل في الصباح وفى المساء لا اهدأ حتى اصاحبك وقد اكتفى بك وصحيفتك بعض الليالي اما فى الغالب فوليمة العشاء غنية ممتعة حيث اجلس الى الزيات والرافعى وأباظة وغيرهم. الايبعث هذا بالاطمئنان الى قلبك . هذه حالة « الجاهل في القراءة ولذتها والدروس ومتابعها

والكتابة ومعالجتها مع أن هذا الجاهل لم ينتظم فى دراسة منظمة ولم يتح له من الوقت والمال الا القليل فكيف تكون حالة الموظفين والمدرسين لاتبعث على الاطمئنان

يا صاحب الايام

انت تقول (أن الاديب الذى يستحق هذا الاسم والرجل الذى يستمتع بشيء من الحياة لايستطيع أن يرضي ولا ان يطمئن لان الرضى آية الخمود ولان الاطمئنان آية القصور) على أساس هذا اريد ان أقول انى لست راضيا عنك ولا مطمئنا الى عملك أين القصه ؟؟ لم لاتكثر من كتابتها وتحرض عليها هل لم يأتك نبأ المستشرق الذى صرح أن الأدب العربى لن تكون له مكانته بين الاداب الا اذا ادخلت فى مواده القصة . . اين دائرة المعارف لم لاتحرص على وضعها وتنادي بوجوبها انى أخاطبك على ضوء اننا ان لم نكن مثل القوم الذى كان ملوكهم يفتحون الباب للحقير قبل الأمير لبسط الشكوى فنحن نتمسح فيهم ولذا فلا بأس على وأنا في آخر الادباء والمتأدبين من مناقشة سيدهم وكبيرهم

وأحب أن تعلم ياسيدى انى لم اكتب هذا حبا فى النشر ولا رغبة فى ان يقال ان عبد المعطى المسيري يحادث العميد طه حسين لا . لكنها نفثة مصدور يرى ان صدره يضيق بها ويرى الراحة فى بثها ، اما مقامك عندى فى الادباء فهو الاول وقد اخليت نفسى من

مدحك لانى مهما اسهبت واطنبت فى الكلام عن شعورى نحوك ونحو ما اقرؤه لك فانى لا استطيع ان اعبر عن بعض لذتى وانا اقرأ « الايام » وكانى اعبر الأنهار وامشى فى المزارع واجلس الى الفقيه والمس الحياة الريفية ولن استطيع ان اصور المتعة التى ظفرت بها فى كتابك (فى الصيف) الذى علمتنى فيه (ان لابد مما ليس عنه بد) وعلى العموم ان اردت وصف سرورى ولذتى ومتعتى حين اقرأ لك شيئاً فهو يزيد عن فرح المؤمن الساذج حينما يركب الباخرة ليزور الحجاز او عند ما يكون المريض فى دور النقاهة اثر المرض الشديد

قد اكون اسأت النقد او عجزت عن التعبير وقد اكون حادثتك باسلوب لم تعهده وقد اكون تخطيت قواعد اللياقة . ولكن الا يكون لجهلى . و بعدى عن التعليم النظامى وقسوة الحياة التى تضطرنى لان اكتب هذا بعد جهاد فى سبيل العيش ست عشرة ساعة شقيها لديك فتغفر لى تطاولى ؟؟

قد تعمل على تهشيمى فأودع الادب وفى هذا راحة لى

وقد تأخذ بيدى وفى هذا نفع لى وقد تدعنى حيث انا فلا تنشر ولا تجيب واذن فا كون قد نفثت عن صدرى

واخيرا ارجو ان لا تحنق لانى اختلست من وقتك الشىء الكثير وارجو ان تتنازل وتتقبل كل احترامى وخالص تحيتى ومزيد اعجابى

دمنهور المخلص عبد المعطى المسيرى